العرب
الأربعاء 2019/10/23
السنة 42 العدد 11506

فن تحويل اللوحة الفنية إلى عملة نقدية

هل مصير الفن أن يتحول من الحداثة إلى تحصيل الثروة؟

لوحة بانكسي مزقت نفسها رفضا لنظام السوق

طرح الفن المعاصر علاقة إشكالية بين الفن والسوق، أي بين ما هو فني يروم الجمالية والتحرر من المادة وما هو مادي بحت "المال" ونظام السوق. علاقة تبدو في ظاهرها متضاربة، لكنها تكاملت بشكل غريب، فصار الفن مالا، مالا مخزّنا ومنظومة للربح. مزادات هنا وهناك لبيع لوحات أو أعمال فنية بمبالغ ضخمة في سوق يبدو الأغرب والأكثر إثارة للدهشة.

شرف الدين ماجدولين
كاتب مغربي

لم يكن خروج اللوحة من الكاتيدرائية إلى المتحف منفصلا عن خروج الرؤية من حضيرة المعتقد إلى جماليات البصري، إنه الانتقال الضارب في عمق المجتمع الحديث والعلماني، حيث أعيد إسكان النحت والتصوير والعمارة في مجال دنيوي، بصرف النظر عن الذرائعية الدينية.

من هذا المنطلق وضعت مؤسسات المتاحف مآلا، لا تقتصر وظيفته على استقبال الأعمال المصادرة من مجال القدسي، وإنما بالنظر إلى كونه نطاقا لعقيدة مستحدثة تنظر إلى الفن بوصفه شأنا مدنيا وتاريخيا وإنسانيا، لا يمكن أن يتجلى إلا في حيز من الملكية الجماعية الساعية لتحصين الذاكرة والعبقرية.

الفن والسوق

لا ينفصل ولع اقتناء اللوحات والمنحوتات والبروز التدريجي للمجموعات الفنية الخاصة عن تفاقم النزعة الفردانية في المجتمع الحديث والمعاصر، ونهمها إلى امتلاك ما هو جماعي، بوصفه وسيلة لتوسيع مصادر الثروة، كما لا ينفصل ذلك التحول من مؤسسة "المتحف العمومي" إلى المقتنيات الفنية للأفراد والشركات والبنوك عن فكرة الحجب والمصادرة وانتزاع الوظيفة الفنية، لحساب هاجس تضخيم القيمة في اتصالها بـ"الأسلوب" و"التوقيع"، من هنا ستنشأ أسواق الفن داخل حاضنة لصناعة الثروة يلتبس فيها الحقيقي بالزائف والنفيس بالمتمحّل والأصلي بالنسخة والمقيم بالعابر.

هل سينزع التداول المالي المتسارع في إيقاعه النسغ العقائدي للفن؟ ما هو ثابت أن ارتفاع وتيرة الاستهلاك في مجتمع السوق المعولم وما يتصل به من قنوات تستوعب الفن ضمن مآربها؛ من الإعلانات التجارية للسيارات إلى طرازات الموضة وتغليف السلع، عجّل بتحويل "المعرض" إلى تفصيل ضمن منظومة قائمة على مبدأ "ترويج المنتج"، هكذا يمكن فهم ذلك التلاحم الملحوظ في مجلات الفن الأوروبية والأميركية بين الموضة وعروض الفن المعاصر، مجلات مثل "تانك" و"فيري" وغيرهما، تمثل نموذجا للانزياح التدريجي لصورة الأعمال الفنية إلى الهوى الإشهاري، ولحساسية ترتاح للمجاورة بين التصاميم الجديدة للأزياء واختراقات الأسلوب المعاصر في التركيب، حيث الرواج مؤكد في سوق المنتجات الباهظة.

لكن لنعد قليلا إلى مقولة قديمة لكارل ماركس حيث يرى أن السلعة معطى غريب ومعقد "لكونها شيئا ماديا يقدره المشتري لأن له نفعا، وفي الوقت عينه، بفضل حركة السوق، شيئا يحمل قيمة تبادل نقدية".

وما هو مؤكد أن القيمة النفعية للفن لا يمكن فصلها عن الأسلوب وما ينطوي عليه من رؤية واعتقاد، نفعيته مجردة ومتعالية وخارج حسابات الوظيفي الصرف، المتجسد في البترول مثلا (وهو المثال الدال لارتباطه بالمضاربة)، لكن النفعية هنا تقاس بمقدار امتلاك الفن لقيمة "تبادل خالصة" قادمة من التجريد نفسه.

> **ارتفاع وتيرة الاستهلاك في مجتمع السوق المعولم حول «المعرض» إلى تفصيل ضمن منظومة قائمة على «ترويج المنتج»**

أستحضر هنا مقولة لمؤرخ الفن جوليان ستالابراس في كتابه عن الفن المعاصر حيث يرى في محصلة تحليله لارتباط الفن والنهم إلى الثروة في المجتمع الاستهلاكي أن "الفن يقترب، بما هو تجسيد مادي لقيمة التبادل، من حالة السلعة الأكثر تجريدية، وهي النقود، ويستخدم بالفعل كذلك من قبل الأثرياء كصورة شبه سائلة لرأس المال المضارب، بحيث تخبأ الأعداد الهائلة للأشياء التي تكمن فيها تلك القيمة بعيدا في مخازن آمنة، ومشيدة خصيصا لذلك الغرض".

اللوحة كعُملة

بأي مسوغ يمكن أن تتحول اللوحة إلى عملة، خارج التقدير الاعتباري لصاحبها ولمضمونها؟ عملة قابلة للمضاربة والتعويم والتضخم وما يتصل بالمنظومة المالية من آفات، وما يرتبط بها أيضا من انحرافات، أستحضر في هذا السياق كيف كشفت واقعة اختفاء لوحات من المجموعة الفنية الخاصة للملياردير المغربي العلمي الأزرق، قبل أشهر قليلة، (ويقدر ثمنها بالملايين من الدراهم)، مرة أخرى، أن اللوحة هي أكثر الفنون التعبيرية ارتباطا بالجريمة، فثمة واقعة سرقة ارتبطت بتعويض اللوحات الأصلية بنسخ مزورة، وبتورط فنانين محترفين في واقعة إنتاج بدائل للأعمال الأصلية، فضلا عن السوق السوداء للفن التي تستوعب اللوحات المختفية، وكيف تسهم في عملية تبييض الأموال... كما كشفت الواقعة عن وجود مجموعات فنية تستثمر فيها الملايير للتهرب الضريبي، عالم معقد من الجرائم المركبة التي تلتصق بأكثر الفنون امتناعا على تبديد القيمة.

قبل سنة دُمرت لوحة "فتاة مع بالون" للفنان البريطاني مجهول الهوية بانكسي في دار المزادات الشهيرة "سوذبيز" بلندن، خرجت عن إطارها مرورا بآلة لتمزيق الورق مخبأة داخل الإطار في الوقت الذي هوت فيه المطرقة لتعلن بيع اللوحة بأكثر من مليون جنيه إسترليني.

كان المشهد صادما لجمهور الفن والمقتنين والمعارض، لكنه في العمق استبطن اللوحة الحقيقية، تلك التي تستعصي على المزاد، وغير القابلة للبيع، في الآن ذاته التي تمثل فيه مجرد سند هش منعدم القيمة النفعية، وفي عمق المشهد يمكن أن نطل على الحدود التي تشارف التمييز الاجتماعي المنقلب على جوهر الفن، حيث باتت الطبقات المتوسطة الحاملة لمشروع المجتمع الحديث والمعاصر بعيدة عن أفق امتلاك التحفة، في عالم حوّل كل مرتكزات الحداثة إلى قواعد لحراسة الثروة، من "الديمقراطية" إلى "الفن".

«دراهم» فيلم إماراتي ينتقد سطوة المال

أبوظبي – انطلقت في أبوظبي عمليات تصوير الفيلم السينمائي الاجتماعي "دراهم" للمخرج جرير المردود والكاتب أمير الأشمل، والعمل من إنتاج شركة "العنود برودكشن".

ويحمل الفيلم أفكارا واقعية، وتدور أحداثه حول مسألة المال وتأثيره على سلوكيات عدد كبير من الناس، كما يتناول قضايا اجتماعية أخرى ذات تأثير كبير على حياة الآلاف في المجتمعات العربية عامة والخليجية خاصة.

وأشار كاتب ومنتج العمل أمير الأشمل إلى أهمية العمل الذي يواكب مسيرة الدراما الخليجية، وقال "المحور الرئيسي للفيلم هو المال، حيث يعالج قضايا اجتماعية أهمها دور المال السلبي في حياة الإنسان، عندما يدفع البعض لارتكاب جريمة بسببه.. كل إنسان منا عانى من المال رغم أهميته للإنسان وسعيه للحصول عليه".

وأضاف "دورنا كشركة إنتاج يكمن في محاولة مواكبة مسيرة الدراما في الخليج، فالعمل الدرامي هو الأكثر انتشارا في الفترة الحالية في الساحة الفنية، كما توجهنا للأفلام لأن الساحة تفتقر للأفلام بشكل خاص".

ومن جهته، شدّد المخرج جرير المردود على أهمية القضايا التي يتناولها الفيلم، موضحا أن قصة العمل واقعية لأبعد حد، نظرا لوجود الكثير من الناس ممن يفعلون المستحيل للحصول على المال.

وقال المردود "الفيلم اجتماعي يطرح قضية المال التي تعتبر القضية الأهم في العالم، فأي شخص قد يفعل المستحيل نتيجة طمعه وحبه للمال، الذي يتسبب بنقاط ضعف تؤدي بالبعض إلى مراحل متقدمة من عدم المسؤولية".

وتابع "كما يتناول الفيلم حياة الأسرة والتعامل السلبي مع الطفل، ما يولّد منه شخصا شريرا، يفعل أي شيء من أجل الحصول على المال، ويصوّر تسبب الأب والأم بخلافاتهما في تدهور وضع الأولاد.. نطرح ونعالج الأمور المتعلقة بالأهل والتعنيف والزواج الإجباري الذي يتسبب في كل مرة بكارثة تصيب العائلة التي تنتج عنه". أما بطلة العمل مريم حسين فعبرت عن سعادتها الكبيرة بتجسيدها شخصية انتظرتها طويلا، مشيرة إلى أن الدور صعب ومعقد، لكنه ممتع جدا، فهو الذي يعيدها إلى الساحة الفنية بعد طول غياب، كما وجّهت الشكر للكاتب والمنتج المخرج ولكل العاملين في الفيلم.

> **الفيلم الإماراتي يخرجه جرير المردود ويشارك فيه نجوم من الأردن والإمارات وتونس والمغرب وسوريا والسعودية واليمن**

وتابعت "دوري مركب وصعب، لكن هذا ما انتظرته منذ زمن، ألعب دور شمس وهي من أبطال الفيلم، ومحور رئيسي فيه"، موضحة "الشخصية التي أجسدها في دراهم، تتحدّث عن فتاة تزوجت زواج الأهل بالغصب، ولم تنجح في حب زوجها.. جو العائلة الذي عاشته بلا حب أو انسجام أو تفاهم، نتجت عنه أحداث مثيرة ومشكلات كثيرة".

ويشارك في الفيلم نجوم من الأردن والإمارات وتونس والمغرب وسوريا والسعودية واليمن، منهم: مريم حسين، وآلاء شاكر، وعبدالله بن حيدر، وهدى الغانم، وأحمد العمري، وأحمد فاضل، وشيخه البحرينية، ولبنا الحسن، وحازم بياعة، وإبراهيم الدسماني، وفاطمة البندري، وماهر مزوق ويارا خضير، كما تولى مهمة مدير إدارة الإنتاج في الفيلم يوسف أرناؤوط.

مسرح مابعد الحداثة وجماليات الفوضى

الشارقة – صدر عن منشورات الهيئة العربية للمسرح بالشارقة، ضمن سلسلة دراسات، كتاب حمل رقم 59 موسوم بـ"الكايوسية في مسرح ما بعد الحداثة" للباحثة العراقية الدكتورة فاتن حسين ناجي.

كتاب "الكايوسية في مسرح ما بعد الحداثة" هو الكتاب الثالث الذي يصدر للباحثة العراقية ويقع في 258 صفحة، أخرجه فنيا ماجد حبيب، وينقسم إلى ستة أبواب فضلا عن مقدمة وخاتمة.

تتناول الباحثة في الكتاب بالدرس والتحليل مقاربات لمصطلح "الكايوسية" وتعطي نبذة تاريخية عنه وعن تمثلاته في علم النفس ومختلف النظريات الفلسفية وكذا اشتغالاته في الخطاب المسرحي العالمي والعربي أيضا.

الكايوسية، تقول المؤلفة في مقدمة الكتاب، هي تلك الأحداث الصغيرة التي يمكنها أن تُحدث نتائج كبيرة غير متوقعة وهي تلك الاضطرابات التي تحمل معها نسقا ونظاما متكاملا غير متوقع.

وتتابع ناجي أن الكايوسية هي علم اللامتوقع كما يصفها إيليا بريغوجين المؤسس الفعلي لهذه النظرية الفلسفية والتي يؤكد على أنها "أي عمل يظهر للعلن على أنه عمل فوضوي وغير منظم. إلا أنه في الحقيقة مقصود ومنظم ومنضبط، وليس عشوائيا، ما يجعل منه انتظاما دقيقا ويسير حسب نسق محدد، بعكس ما يبدو عليه. فالكايوس هو جمال في العشوائية وعلم في التنوع والاختلاف ونظام مغاير للقواعد المتعارف عليها وهو قبل كل شيء فوضى منظمة".

ونذكر أن الدكتورة فاتن حسين ناجي من مواليد العراق سنة 1981 وهي ممثلة وباحثة مسرحية حاصلة على بكالوريوس فنون مسرحية وماجستير تربية مسرحية ودكتوراه فلسفة مسرحية، نُشرت لها بحوث ومقالات مسرحية في مجلات عديدة، صدر لها كتابان هما "السخرية في النص المسرحي العربي" و"التحولات الفكرية وانعكاسها على شخصية المرأة".

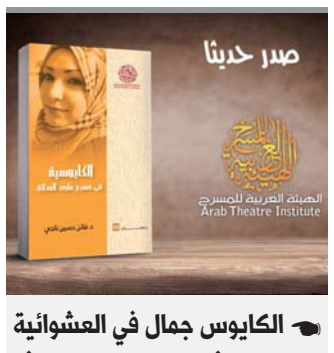

> **الكايوس جمال في العشوائية وعلم في التنوع والاختلاف ونظام مغاير للقواعد المتعارف عليها، إنه فوضى منظمة**

«الترياق الأزرق» يفوز بجائزة المهرجان الوطني للمسرح الموريتاني

القاهرة – فاز العرض المسرحي "الترياق الأزرق" لفرقة إيحاء للفنون الركحية (المسرحية) بجائزة المهرجان الوطني للمسرح الموريتاني الذي أسدل الستار على دورته الثانية، مساء الاثنين، في العاصمة نواكشوط.

وشاركت في المهرجان الذي نظمته الهيئة العربية للمسرح بالتعاون مع وزارة الثقافة والصناعة التقليدية عشرة عروض من مختلف الولايات الموريتانية.

وتشكلت لجنة التحكيم برئاسة الممثل والكاتب التونسي البغدادي عون وعضوية الكاتبة الموريتانية فاطمة بنت عبدالوهاب والمخرج الجزائري جمال قرمي والكاتب المسرحي الموريتاني محمد فال عبدالرحمن. وفاز بجائزة أفضل ممثل علي ديدة عن عرض "كاستينغ" لفرقة الشروق، وجائزة أفضل ممثلة خديجة منه عن عرض "آهات تيرس" لفرقة أزويرات من محافظة تيرس زمور، فيما ذهبت جائزة الإخراج إلى سيد محمد أوداعة عن عرض "هواجس" لفرقة أنواذيبو.

> **المهرجان في دورته الثانية يحقق حلم المسرحيين الموريتانيين في الانتقال من مرحلة الهواية إلى الاحتراف**

وفاز بجائزة السينوغرافيا عرض "سرك الأحلام" لفرقة الموكب الثقافي، وجائزة التأليف الموسيقي والمؤثرات عرض "حماة الوطن" لفرقة أطار من محافظة أدرار.

وأقيم حفل الختام على مسرح دار الشباب القديمة في نواكشوط بحضور عدد من المسؤولين الموريتانيين والمسرحيين العرب.

وقالت مستشارة وزير الثقافة والصناعة التقليدية خديجة بن هنون في كلمة الختام إن "المهرجان حقق حلم المسرحيين الموريتانيين في الانتقال من مرحلة الهواية إلى الاحتراف".

وأضافت أن "استمرارية المهرجان للعام الثاني على التوالي تأتي في إطار التوجه لرفع مستوى المسرح الموريتاني ليواكب تطور المسرح العربي والعالمي من أجل أن يلعب دوره في تغيير عقليات المجتمع".